من صور التواصل الاقتصادي لطرق الحج بين العرب المسلمين وسكان إفريقيا- تجارة الملح أنموذجا

أ.د. ابتهال عادل إبراهيم*
أ.د.هشام سوادي هاشم**

لقد ارتبط تطور التجارة، وتوطدت العلاقات التجارية بين مشرق العالم الإسلامي بانتشار الإسلام، ولاسيما في المناطق الصحراوية من المغرب الإسلامي وبصورة خاصة في جنوب الصحراء إثر التطور الكبير والسريع الذي شهدته التجارة الصحراوية ابتداء من القرن الثالث الهجري وهي تعتمد أساساً على البضاعتين الأساسيتين في التجارة العالمية انذاك وهي الذهب وتجارة الرقيق، فقد ظهرت تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة المؤسسة على طول المسالك التي كانت تربط بين الصحراء جنوباً وموانىء البحرالمتوسط شمالاً من جهة،وبين الصحراء والمشرق الإسلامي من جهة ثانية،وقد كانت فئة التجارالمسلمين أنشط عناصر سكان تلك المراكز التجارية،ليس في النشاط التجاري فحسب بل في نشرالإسلام فقد جمع التاجر بين مهنته والدعوة إلى الإسلام وما ترتب عليه فيما بعد من الرغبة الصادقة والحقيقية للتوجه نحو البيت الحرام لأداء مناسك فريضة الحج،فنتيجة للنشاط التجاري الكبير الذي ساد القارة الإفريقية نشطت قوافل الحج التي كانت في الوقت عينه قوافل تجارة يمارسها الحجاج على طول طريقهم إلى الأراضي المقدسة كما أنها كانت قوافل تحصيل العلم عن طريق الالتقاء بعلماء البلدان التي يمرون بها فكانت تخرج من غرب القارة قوافل عديدة على رأسها ملوك هذه البلدان الذين كانوا يحرصون على أداء فريضة الحج ؛كانت قافلة الحج يستغرق الإعداد لها من عام الى ثلاثة أعوام وكان يرافق قوافل الحج حفلات التحضير والتوديع والاستقبال وما يرافقه من القصائد وأناشيد مدح النبي محمد "صلى الله عليه وسلم وذكر فضائل الحج والحجاج باللغة العربية واللغات المحلية وما يناله الحجاج من التعظيم والتبجيل أثره الكبير في ازدياد قوافل الحج الى بيت الله الحرام .

كان الحجاج ينطلقون من ديارهم ويجمعون تكاليف الحج خلال رحلتهم إلى السودان من سكان المناطق التي يستقرون بها خلال رحلة العودة بعد أداء فريضة الحج وقد كانت أعداد الحجيج قليلة نظراً لارتفاع تكاليفه وخطورة الطرق وطوله ووعورته والخوف من الاسترقاق.كان أداء فريضة الحج فرصة مناسبة من أجل الالتقاء بإخوانهم المسلمين على اختلاف بلدانهم وألسنتهم وألوانهم فيشعرون

* قسم التاريخ/كلية الآداب / جامعة كركوك
** المساعد العلمي لجامعة نينوى- dr_hesham71@yahoo.com

بالأخوة الإسلامية ويشعر الإفريقي بانتمائه إلى العالم الإسلامي الكبير وبأخوتهم لمسلمي ذلك العالم فتتحطم الحواجز العرقية والقبيلية واللغوية والاجتماعية فأصبح خروج المسلمين من غرب إفريقيا ووسطها وشرقها جماعات وفرادى إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في بلاد الحجاز تأكيداً لروح الأخوة التي فرضها الإسلام فيعود هؤلاء الأفارثة ممتلئين بالحماسة لنشر الدين الإسلامي ووقف جهودهم على إعلاء شأنه في بلادهم وما جاورهم من البلاد الوثنية خصوصاً أن هؤلاء الحجاج كانوا يعودون محملين بالكتب الدينية المقدسة وبالدعاة والفقهاء والتجارمن غير الأفارقة فإن الحج كان فرصة ثمينة من أجل التجارة والحصول على السلع المهمة والضرورية لهم ومنها مادة الملح موضوع الدراسة.

صعوبة الدراسة:

صعوبة معالجة موضوع اقتصادي وخاصة في العصر الوسيط فالمعلومات الاقتصادية مبعثرة بين ثنايا أحداث سياسية واجتماعية.؛قلة المراجع المهتمة بهذا الموضوع أن لم نقل انعدامها، قلة المعلومات عن التجارة المرفئية بالمصادر العربية مع العلم أنها تشكل الوجه الآخر للتجارة الصحراوية. ومما يجدر التنوية به أن المصادر العربية– كتب الجغرافيا و الرحلات وكتب الطبقات والتراجم – هي المصادر المكتوبة الوحيدة المتوافرة عن تاريخ السودان الغربي في القرون الوسطى ، وذلك لأن قبائل السودان الغربي لم تكن تعرف الكتابة آنذاك. وهذه المصادر هي في حد ذاتها مساهمةٌ عربيةٌ كبيرة في ميدان الحضارة. إن أهم هذه المصادر هو ما صنفه ابن حوقل (القرن العاشر الميلادي)، وأبو عبيد البكري (القرن الحادي عشر)والشريف الإدريسي (القرن الثاني عشر) وابن سعيد المغربي (القرن الثالث عشر) وابن بطوطة والعمري وابن خلدون (القرن الرابع عشر) والقلقشندي (القرن الخامس عشر) والحسن الوزان – المعروف بليو الإفريقي – (القرن السادس عشر) ومن أهل السودان ذاته عبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان، ومحمود كعت صاحب تاريخ الفتاش وقد عاشا في أوائل القرن السابع عشر، والفقيه المعروف أحمدبابا التنبكتي الذي عاش في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ومن أشهر مؤلفاته كتاب– نيل الابتهاج بتطريز الديباج – هذا فضلاً عما تتضمنه كتب الطبقات والتراجم، والتى برع فيها أهل المغرب، من نتفٍ قيمةٍ عن اتصال فقهاء المسلمين وتُجارهم ببلاد السودان.

أهداف الدراسة :

تهدف إلى إبراز أهمية التواصل الاقتصادي لطرق الحج في تعزيز أواصر التواصل بين مشرق العالم الإسلامي وسكان إفريقيا وتحديداً لتجارة الملح موضوع الدراسة وتبيان مكانة الملح الذي يعد واحد من المواد الرئيسية التي ساهمت في بلورة أو تشكيل حكمة الشعوب وموروثاتها التاريخية واحتل مكانة متفردة لدى سكان القارة الإفريقية نظراً لحاجتهم الماسة له بحكم البيئة الطبيعية ولاتقل أهميته في العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان لندرته فكانت مصدراً للربح الوافر،مقابل الحصول على كميات كبيرة من الذهب، وقد ارتبط الملح ارتباطاً وثيقاً بالإنسان فمنذ أن استقر الإنسان على سطح هذه البسيطة برز الملح بوصفه مادة أساسية يحتاج إليها الإنسان والحيوان معاً بل حتى النبات فهو يعمل على موازنة كمية الماء بالجسم والخلايا التي يتكون منها أعضاء الجسم فهو مهم

لعملية التمثيل الغذائي في الخلية فتناوله بكميات معتدلة ضروري جداً للبقاء على قيد الحياة. وقد ظل الملح عبر العصور مادة أساسية ومهمة لحفظ اللحوم والأسماك والأجبان ومشتقات الحليب إضافة إلى كونه يدخل مكوناً أساسياً في التوابل وقد وفر بذلك أفضل حافظ غذائي معروف وخاصة بالنسبة للحوم، مما جعله يلعب دوراً بارزاً في تشكيل ميثولجيا الشعوب قاطبة ويميل كثير من شعوب الأرض إلى الاعتقاد بان الأرواح الشريرة لاتتحمل الملح الذي يقدر على طرد تلك الارواح.وكمادة أقتصادية مهمة كان سبباً في وقوع مئات الحروب بل يعتبره مؤرخو الحضارات المادة الضرورية لنشأة الإمبراطوريات وانهيار أخرى. وكسلعة تجارية كان للملح أثره البارز في القارة الإفريقية وخصوصاً في سواحلها الشرقية منذ عصور ماقبل التأريخ إلى أواسط القرن العشرين وقد أدى دوراً مهماً في انتشار الاسلام في إفريقيا جنوب الصحراء تلك التجارة التي كانت تتم على ظهور القوافل.ونظراً لأهميته فقد أصبح من أهم البضائع المستوردةوكان يصل ثمنه ثلاثمائة دينار وأحياناً يباع بوزن الذهب.

وتأسيساً على ما سبق جاءت دراستنا في محورين يسبقهما مدخل تأريخي.

المحور الأول: سنعالج فيه الأصل العلمي واللغوي للملح والتطور التاريخي لاستعماله عند الحضارات التي سبقت الإسلام وعلاقته بحياتهم اليومية ومعتقداتهم الدينية ومصادر الحصول عليه والصعوبات التي ترافق عملية الحصول عليه وبالتالي ارتفاع ثمنه.أما طريقة المتاجرة به فكانت تتم بالمبادلة وبطريقة التجارة الصامتة حيث يبدل الملح بالذهب فاذا جاء التاجر العربي ووضع الملح ثم يأتي دور التاجرمن بلاد السودان فيضع ما يوازيه ذهباً فإذا أخذ التاجر العربي الذهب أخذ التاجر السوداني الملح وجدير بالذكر أن هذه الرواية تتطابق كلياً مع ماذكره المؤرخ اليوناني هيرودتس في القرن الخامس قبل الميلاد حول التجارة التي كانت سائدة بين الفينقيين أول نزولهم في إفريقيا وتعاملهم مع سكانها الأصليين.

المحور الثاني:سنتناول فيه تجارة الملح وعلاقتها بطرق الحج فنتيجة النشاط التجاري الواسع الذي شهدته القارة الإفريقية فقد نشطت قوافل الحج التي كانت في الوقت نفسه قوافل تجارية بحتة بكل ما تعنيه هذه الكلمة حيث كان يمارس الحجيج التجارة على طول طريقهم أو كان يتم إعداد القوافل وتهيئة مستلزمات الخروج للديار المقدسة لغرض أداء فريضة الحج وممارسة التجارة ومنها تجارة الملح.

مدخل تأريخي:

لابد من تقديم توطئة تنظيرية تهدف إلى إبراز العلاقة الجلية بين الحاجة الماسة للملح والمتاجر بها فالإنسان ابن بيئته ومحيطه (مجتمعه) وعلى هذا الأساس فقد اشترك في تكوين عقليته عدة عوامل منها الوراثة،، البيئة الأسرية (البيتة)، الدينية، الاجتماعية، السياسية وأخيرا البيئة الطبيعية. فآمن الإنسان بالمعتقدات الدينية التي دخل في تركيبها ضمنياً الخرافات، السحر، الجن والعين الحاسدة[1] وإذ كانت الخرافة مجموعة الأفكار والممارسات والعادات التي لا تستند الى أي تبرير عقلي ولا تخضع إلى أي مفهوم علمي سواء أكانت ذلك في حيز التطبيق والممارسة أو في المجال النظري فإن الذهنية الخرافية تمثلت في نقل المعلومات أو تمثيلها وتفسير الأحداث أو تعليلها لكن بالمحصلة النهائية ليست على أساس علمي أو عقلي، ولقد تداخلت الخرافة منذ قديم الزمان مع المعتقدات والطقوس الدينية مما جعلها

ثقافة مجتمع بأكمله. وأصبحت تلك المعتقدات من أشكال التعبير الجماعي للأفكار والمفاهيم والممارسات الدينية ذات العلاقة بالتراتيل والطقوس الدينية المقدسة لديهم والتي تؤديها الجماعة وتؤثر فيها لإيجاد صلة أو رسم صورة ذهبية بينها وبين عالم المقدسات فخرجت من حيز الانفعال العاطفي الى مجال التأمل الذهني (العقلي)[٢]. وأصبح لتلك المعتقدات سمات خاصة تنفرد بها تتمثل في الشعور، التعبد والاعتقاد بالحضور لشيء غامض وصعب الفهم والتأويل[٣] وكثير من هذه المعتقدات قد وصلت إلى زماننا هذا ووجدت منذ وجود الإنسان والكثير من هذه المعتقدات ليس له علاقة لا بالعقل أو العلم أو الدين كما أنها لا تتناسب ومفهوم المنطق والعقل البشري وأصبح من الصعوبة التخلص منها، بل إن بعضها (أي المعتقدات) ذات التأثير الكبير بحيث إنها أثرت في التركيب الطبيعي للأشخاص وركزت على المعتقدات الدينية للبعض الآخر بشكل كبير.[٤]

ويعد الملح واحدة من المواد الرئيسية التي ساهمت في بلورة أو تشكيل حكمة الشعوب وموروثاتها التاريخية وقد ارتبط الملح ارتباطاً وثيقاً بالإنسان فمنذ أن استقر الإنسان على سطح هذه البسيطة برز الملح بوصفه مادة أساسية يحتاج اليها الإنسان والحيوان معا بل حتى النبات فهو يعمل على موازنة كمية الماء بالجسم والخلايا التي يتكون منها أعضاء الجسم فهو مهم لعملية التمثيل الغذائي في الخلية فتناوله بكميات معتدلة ضروري جداً للبقاء على قيد الحياة. غير أن بعض الدراسات قد بينت أن كثرة الملح أو مركبات الصوديوم الأخرى في الطعام تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم ولهذا يسعى ويجاهد ويحاول كثير من الناس تقليل كمية الملح الذي يتناولونه أو يلجؤوا الى استخدام البدائل التي لا تحتوي على الصوديوم. كما أن الإفراط في تناوله يؤثر على حواس الجسم والتي تتأثر بالملح سريعاً فيسبب لها الهيجان والحركة الزائدة كما يسبب التهاب الأغشية المخاطية للمعدة والأمعاء والأوردة والشرايين كما يتعب الكليتين والكبد والمجاري البولية.[٥]

وقد ظل الملح عبر العصور مادة أساسية ومهمة لحفظ اللحوم والأسماك والأجبان ومشتقات الحليب إضافة إلى كونه يدخل مكوناً أساسياً في التوابل وقد وفر بذلك أفضل حافظ غذائي معروف وخاصة بالنسبة للحوم، مما جعله يلعب دوراً بارزاً في تشكيل ميثولجيا الشعوب قاطبة ويميل كثير من الشعوب الأرض إلى الاعتقاد بأن الأرواح الشريرة لاتتحمل الملح الذي يقدر على طرد تلك الأرواح ولايزال إلى يومنا هذا يرش اليابانيون الملح على خشبة المسرح قبل بدء العرض ليحمي الممثلين من الأرواح الشريرة.[٦] ويصعب التفكير في أي مادة أخرى نالت نصيباً موازياً من الأهمية في فكر الإنسان ومعيشته بأكثر مما فعل الملح فقدرته على المحافظة على الأشياء ووقايتها من التحلل وكذلك قدرته على حفظ الحياة البشرية أعطته رمزية كبيرة على الرغم من كونه مادة متوفرة بكثرة وشائعة لكن الوعي البشري يربط بينه وبين الديمومة والحياة الطويلة وتلك المسائل أعطاها الإنسان دلالات وطقوساً مهمة.[٧]

وكان سبباً في وقوع مئات الحروب بل يعتبره مؤرخو الحضارات المادة الضرورية لنشوء الإمبراطوريات وانهيار أخرى ولقيام الثورات فابتداء من حروب المقاطعات الصينية التي استمرت عقوداً طويلة إلى أن سيطرت مقاطعة تشي على المقاطعات الصينية الستة الاخرى وتأسيس امبراطورية الصين في القرن السادس قبل الميلاد حيث قام الوزير التابع لحاكم مقاطعة تشي ببيع الملح لسكان المقاطعة

بسعر أعلى من ثمن شراء المقاطعات له ليؤمن باستمرار قدرته على استيراده إضافة الى تحقيق الحاكم أرباحا من الاتجار به وأصبحت سياسة هذا الوزير بعد اتحاد مقاطعات الصين مثالاً معروفاً لاحتكار الدولة للسلع الأساسية واستعملت عوائد الملح في بناء جيوش الامبراطورية الصينية وتشييد منشآت دفاعية بما فيها سور الصين العظيم.(٨) وقامت حكومة مملكة البندقية في القرن الثالث بتدمير ورش الملح في جزيرة كريت وحصرت انتاجه محلياً وذلك لرغبتها في رفع أسعار الملح وظلت من أكبر المتاجرين به.(٩)

وفي القرن التاسع عشر عندما أخرجت المومياءات في صقارة وطيبة ووصلت القاهرة رفضت السلطات إدخالها إلا بعد دفع ضريبة عليها باعتبارها سمكاً مملحاً وبفضل الملح تم جلب ثروة البحار الشمالية الى شعوب اوربا ومنعت دلال القد المملح وبراميل (الرنكة نوع من السمك المملح) المجاعة عن أجزاء كثيرة من أوربا.(١٠) فضلاً عن الحروب الطاحنة بين شمالي امريكا وجنوبها وحرب استقلالها عن بريطانية كانت بسبب الملح فهذا جورج واشنطن رئيس الولايات المتحدة يقول في معرض تفسيره للحروب الطاحنة: "لقد ولدت أمة جديدة مع ذاكرة مرة عما يعنيه الاعتماد على الآخرين للحصول على الملح" في إشارة منه إلى اعتماد ولايات شمال أمريكا على الولايات الجنوبية التي برزت فيها صناعة الملح بشكل كبير فانقسمت البلاد الى شمال وجنوب وبدأ واضحاً حينذاك أن لورش الملح الدور الأبرز في هذا الانقسام فبمساعدة العبيد المحرومين قامت الولايات الشمالية بأعاقة القدرات الحربية الجنوبية عبر مهاجمة ورش الملح.(١١) وفي الهند كان للملح دوره البارز في حرب الاستقلال الهندية ضد الانكليز، ولعل خروج غاندي مع ٧٢ من مريديه عام ١٩٣٠ عن عزلتهم الطوعية والبدء بالمسير على الأقدام الى البحر عند راندي ليستخرجوا الملح منه في مواجهة مباشرة مع القانون البريطاني الذي كان يحظر استخراج الهنود الملح، ويعود هذا الأمر تتويجاً لدور الملح في نهضة الشعوب واستقلالها فعند عام ١٩٣٠ مهد غاندي لدروس فلسفته(المقاومة السلمية)وتعاظم مكانته إلى أن أجبر الانكليز على الرحيل من الهند عام ١٩٤٩.(١٢)وفي فرنسا فرضت الحكومة ضرائب باهضة على الملح وكان حكراً لحساب الملوك الذين كانوا يحاربون مهربيه من مكان إلى آخر ولم يلغ الاحتكار الا بعد ثورات واضطرابات دامية كان آخرها الثورة الفرنسية الكبرى التي قضت على الملك لويس السادس عشر ولكن الضريبة على الملح عادت إلى الوجود وظلت سارية المفعول حتى عام ١٩٤٦.(١٣) وكسلعة تجارية كان للملح أثره البارز في أواسط إفريقيا وخصوصاً في سواحلها الشرقية (زنجبار وتنجانيقا) إلى أواسط القرن العشرين وقد أدى دوراً مهماً في انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء تلك التجارة التي كانت تتم على ظهور القوافل.(١٤)

المحور الأول:- سوف نعالج فيه الأصل العلمي واللغوي للملح والتطور التاريخي لاستعماله؛ فهو معدن شفاف هش يتركب من عنصري الصوديوم والكلور ويعرف علميا بكلوريد الصوديوم وصيغته الكميائية naci واسمه المعدني الهاليت ويكون الملح عادة بلورات صافية في شكل مكعبات كاملة التكوين تقريباً والشوائب الموجودة فيه تعطيه اللون الذي قد يكون أبيض أو رمادياً أو أصفر أو أحمر؛ ويبدو ملح الطعام أبيض اللون لكنه في الحقيقة يتكون من مكعبات شفافة صغيرة الحجم ومصدره الترسبات الملحية

الموجودة تحت سطح الأرض "الأجاج" أي المياه المالحة من البحار والبرك والمسطحات المائية الأخرى. والواقع أن ترسبات الملح الموجودة الان قد تكونت تحت الارض بتبخر مياه البحر منذ ملايين السنيين فقد ارتبط تاريخ الملح ببدء تاريخ الحياة على الارض فماء البحر الذي ظهرت فيه أول مظاهر الحياة البدائية في رأي البيولوجين كان مالحاً ففي اللتر الواحد من ماء البحر يوجد ٣٠ غم من الملح ولو أن ملح البحار نثر على الأرض كلها لأوجد طبقة سمكها ٣٥م من الملح. [١٥]

والملح نوعان أحدهما ملح بحري يستحصل من مياه البحار كالبحر الميت. [١٦] ويوجد بالقرب من دمشق وحلب وتدمر وثماني مدن في العراق ومصر وبلاد المغرب العربي وغيرها من المدن سبخات وهي مواضع يجتمع فيها ماء المطر شتاء حاملاً معه كميات كبيرة من الملح فاذا تبخر الماء في الصيف بقي الملح على هيئته صفائح منشور وعلى هذا الأساس يتبلور الملح على شواطئ البحار ويستحضره الأهالي من مياه البحر أما بالتبخير على النار أو تركه في أحواض واسعة تبنى على شواطئ البحر أو قربها فيتبخر الماء بأشعة الشمس ويبقى الملح كتلاً بلورية. [١٧] حيث تنقل الى معامل خاصة لتنظيفها وطحنها ويتكون هذا الملح من ٥٠% من كلوريد الصوديوم و ٥% معادن أخرى منها المنغنيز والكالسيوم والفسفور والايودين من مصدره الطبيعي فضلاً عن أكثر من ٧٠ عنصراً معدنياً آخر يحتاجها الجسم للحفاظ على حيويته لإتمام عملية التمثيل الغذائي بأفضل شكل.[١٨]

اما النوع الثاني فيعرف بالملح الاندراني أو الملح الصخري أو ملح المناجم حيث يوجد في المناجم متبلوراً على هيئة كتل صخرية بلورية مكعبة لا لون لها أو ملونة باللون الأصفر أو البني أو الأزرق تبعا للشوائب الموجودة فيه حيث يجري تقطيع هذه الكتل ونقلها الى معامل خاصة لتصفيتها وطحنها ويحتوي هذا الملح على ٩٩.٩% من كلوريد الصوديوم و ٠.١% ايودين البوتاسيوم أو الكاليسوم وتضاف اليه مادة الايودين لتعزيز نقص الايودين فيه حيث لا يحتوي هذا النوع إلا على مادة واحدة وهي كلوريد الصوديوم وهو فقير بالمعادن الأخرى الضرورية لحياة الحلية لذا نلاحظ أن شركات إنتاج هذا النوع من الملح تحاول سد العجز الكبير بالمعادن بإضافة الايودين اليه وتحاول ترويج الدعاية بأن الملح مكرر وكأنها ميزة إضافية له لكنها في الحقيقة ليست أكثر من محاولة سد العجز الكبير بشئ صغير كما أن تناول الملح المكرر عادة يحدث شراهة في تناول الملح لأن الجسم لا يشعر بالكفاية من المعادن المحلية الأخرى وبهذا يتراكم كلوريد الصوديوم بالجسم مسبباً مشاكل للكليتين ويضعف كفاءتهما وتراكمه مع بقية الفضلات الأخرى مستمر وشعور بالقلق والكآبة والضيق والضجر في نفس الوقت تفاقم نقص المعادن الأخرى بالجسم يسبب مشاكل صحية.[١٩]

اما الملح لغة:فلقد قاربت العرب بين كلمة الملح ومعادن كثيرة فهناك من ذهب إلى أنها كلمة معروفة ومن الملح جاءت كلمة "مليح" و "مليحة" أي من الحسن والجمال[٢٠] ويبدو ان ذلك مرتبط بشكل الملح وجمال لونه الأبيض الناصع على مانجده في قول الشاعر:

قل للمليحة في الجمار الاسود ماذا فعلت براهب متعبد؟ [٢١]

وقول ابي النجم العجلي:

للشم عندي بهجة ومودة واحب بعض ملاحة الذلفاء[٢٢]

ومع هذا فان العرب يقولون "مَلحَ فلانٌ فلانًا" أي اغتابه، ولعل ذلك مرتبط بطعم الملح او الممالحة أي المواكلة وكذلك يقولون " ملحَ الطائر" أي كثرت سرعته وخفقان جناحيه و "ملح" الماشية أي أطعمها سبخة الملح و "الملْح" هو ورم في عرقوب الفرس و "مَلَحَ الابل" أي أسقاها ماء مذاباً فيه ملح و "المُتملح" هو النوتي في السفينة لذا جاء تعبير "ملاح" أي الذي يقود السفينة(٢٣) قال الأعشى:

تكافأ ملاحها وسطها من الخوف كلوثها يلتزم[٢٤]

فهي أذن تشير الى الملاحة البحرية، ولكن لما كان الفضاء كالبحر في زرقته وانعدام أية علامة فيه فلم يجدوا حرجاً في إطلاق الكلمة نفسها (الملاحة) على الطيران... فهي اذا ملاحة جوية. وفي الماء الملح و (المالح) يعيش السمك وهو يكتسب من الملوحة شيئاً نافعاً ولهذا فقد أسموه السمك البحري مالحاً، و "الملحة" هي لجة البحر وهي ايضا بياض يخالطه سواد والملحة نعجة ملحاء وذكرها كبش أملح وفي التهذيب[٢٥] أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أي تلك صفتهما أبيضان فيهما سواد قليل، والملحان هما شهرا جماد الآخرة (كانون الثاني) حيث أطلقوه على أحد شهور الشتاء لبياض ثلجه. [٢٦] و "مليحاء" شجرة سقط ورقها وهي أيضا الكتيبة العظيمة والعرب تقول "ملح على ركبته" للإشارة الى الفتى الذي لاوفاء له أو السمين أو الشديد الغضب ومليح تعني ماءه مالحاً، واستملحه أي عده مليحا، امتلح أي خلط كذبا بحق ويقول المثال في هذا المجال "ملح الرجال الكذب" و "ملح الشاعر" أي أتى بشيء مليح و "ملح الجذور أي سمنت قليلا.[٢٧]

اما فيما يتعلق بالتطور التاريخي لاستعمال المحلح وأهميته لدى حضارات الشرق القديم ونظراً للقداسية التي استبقتها شعوب المنطقة العربية عبر العصور للملح لا تنفصل عن معتقداتها الدينية ففي بلاد الرافدين نجد أن للملح استعمالات كثيرة في الطب. [٢٨] والصناعات المختلفة [٢٩] فضلاً عن استخدامه كمادة لغرض العقوبة ففي المادة[٢٢] من قانون أور–نمو (مؤسس سلالة أور الثالثة) قد أعطى الحق للزوجة أن تفرك فم أمتها التي تحاول ان تتطاول على سيدتها ب"سيلا" [٣٠] من الملح وتفسر هذه العقوبة على ما نعتقد أن الأمة التي تتلفظ بكلمات لاتليق بمكانة سيدتها،[٣١] بمعنى ذلك أن فمها قذر وبحاجة إلى النظافة والملح كما نعلم مادة معقمة ومؤلمة في الوقت نفسه ونحن في العراق الى الوقت الحاضر نهدد من يتلفظ بكلمات نابية من الأطفال بدعك فمه بالملح.[٣٢] ونقرأ في احدى التعاويذ "فليكن لسانها ملحا"، وفي تعويذة أخرى تبين أهمية الملح "إنك ملح مولد في بقعة مشرفة... من دونك لا تعد وجبة في المعبد. من دونك لايتمتع الرب والملك والسيد والنبلاء بالقرابين"[٣٣]، كعامل وقائي كان الملح يستخدم لحفظ اللحوم والأسماك في جو العراق الحار ولحفظ الجثث البشرية حيث نعلم من خلال النصوص التاريخية قيام الملك العيلامي بحفظ جثة نبو–بيل–شحاتي بالملح ونقلها مع رأس السائس إلى آشور بانيبال[٣٤]، وكان الجنين الذي يولد يحفظ أو الأول بالملح لكي تعطي المولد مناعة لبدنه، وجديدر بالذكر ان الملح كان يحفظ اثناء السفر في اكياس الملح [٣٥] وفي البيت في قبو الملح أو في صندوق؛والملح والخردل كانا يمزجان ويستعملان كنوع من انواع التوابل[٣٦].

ويعتقد المؤرخون أن أول استعمال تاريخي مهم في رمزيته للملح هو استعمال المصريين القدماء له في تحنيط موتاهم.[٣٧] وما يرتبط بالمعتقد الديني لديهم بفكرة الخلود حيث جاء اصطناع المومياءات

في إطار اعتقادهم بضرورة حفظ الجسد في انتظار بعثه إلى الحياة مرة أخرى وكلما بالغوا في مسألة حفظ الجثة بطريقة متميزة كلما كانت الروح أكثر استقراراً حسب معتقدهم الديني، لذا فان قدرة الملح على حفظ الجثث منحته هالة اسطورية فردية ومتميزة حيث نظر إليه المصريون نظرة مساوية للحياة وتدل الأبحاث الكيميائية أن الملح لم يكن يستعمل جافاً أو محلولاً في تحنيط الأجسام وإنما كان يمزج مع غيره من المواد حيث يعزى وجود الملح في بعض المومياءات في العصور الأولى إلى أن النطرون الذي كان يستعمل في التحنيط يحتوي على كمية كبيرة من الملح[٣٨] كما كان ضمن عروض الجنازات التي وجدت في قبور المصريين القدماء من الألف الثالث قبل الميلاد وكذلك الطيور والأسماك المملحة كما قام المصريون القدماء بتصدير الأسماك المملحة إلى سواحل بلاد الشام في مقابل خشب الأرز اللباني وصبغة الأرجوان والزجاج، وعندما أسس الفينقيون امبراطوريتهم تاجروا بالأسماك المملحة المصرية والملح من شمال إفريقيا حيث يذكر لنا المؤرخ اليوناني هيرودتس (القرن الخامس قبل الميلاد) في مؤلفه التاريخي (التاريخ) إلى معرفته بالتفاصيل الدقيقة لحياة ملاحي السفن وذكره لأشكال غريبة من التجارة كانت سائدة في شمال إفريقيا[٣٩] فعندما كان الفينقيون يصلون الى سواحل افريقيا الغربية يفرغون حمولات سفنهم على السواحل ثم ينسحبون إلى سفنهم ويوقدون نارا ليثيروا انتباه الأقوام الهمجية إلى وجودهم وما أن يبصر هؤلاء العلامة حتى يأتون فيضعون ذهباً مقابل البضائع المطروحة ومن جملتها الملح وقد ذكر لنا المسعودي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أن هذا النوع من التجارة الصامتة فهو أول من أشار الى هذه التجارة من الكتاب العرب في حين كان لياقوت الحموي معلومات مهمة عن تجارة الذهب الصامتة حيث نقرأ:" تسافر التجار من سجلماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر وخرز الزجاج الأزرق وأسورة نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس لاغير يحملون منها الجمال الوافرة القوية أوتارها ويحملون الماء من بلاد لمتونة وهو الملتون...حتى يصلوا إلى غانة بعد مشاق عظيمة فينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصبحون الأدلاء ويستكثرون من حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر فيمرون بطريقهم على صحاري فيها رياح السموم....حتى يقدمون الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر فإذا وصلوا ضربوا طبولاً معهم عظيمة تسمع من الأفق الذي يسامت هذا الصنف من السودان ويقال إنهم في مكامن وأسراب تحت الأرض عراة لا يعرفون ستراً كالبهائم مع أن هؤلاء القوم لا يدعون تاجراً يراهم أبداً ،وإنما هكذا تنقل صفاتهم فإذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك كل صنف على جهة ويذهبون عن الموضع مرحلة فتأتي السودان ومعهم التبر فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد كل صنف منها مقدار من التبر وينصرفون ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا الطبول وليس وراء هؤلاء ما يعلم"[٤٠] فالمشقة التي يتحملها التجار كانت كبيرة وهم يستخدمون الوكلاء العارفين بأماكن الذهب وطرق المعاملة مع أربابه كما أن أماكن مناجم الذهب بقيت سراً عن التجار وقد حاول هؤلاء في أحد المرات اكتشاف مصدر الذهب حيث قبضوا على أحد السودانيين من أصحاب الذهب

ولكن الأخير فضل الموت على أن يقول كلمة واحدة فكان من نتيجة ذلك توقف التجارة الصامتة لمدة ثلاث سنوات عقاباً من أصحاب الذهب للتجار ثم عادت لأنه لم يكن للسودانيين وسيلة أخرى للحصول على الملح الضروري لهم والذي لا يمكن الحصول عليه الأعن طريق التجار القادمين إلى مناطقهم.كما أشار هيرودتس إلى أن هناك منازل في ليبيا كانت تبنى بصخور الملح وقد ذكر المؤرخون الكلاسيكيون الملح وفؤائده وخصائصه العلاجية وتحدثوا عن الحروب التي قامت في سبيل الحصول على مصادر الملح وقد ذكر بليني (يطلق عليه بليني الكبير (٢٣-٧٩م)، عالم نبات ومؤرخ ومحارب روماني شهير، مات مختنقاً بغازات بركان في ٧٩/٨/٢٤م، من مؤلفاته كتاب التاريخ الطبيعي) فوائد الملح في معالجة لسع الثعابين والصداع والخناق والدمامل واليرقان.[٤١]

أما بالنسبة إلى ذكر الملح في الكتب السماوية ففي العهد القديم نقرأ أن اليهود قد سعوا من أجل الحفاظ على العهد بينهم وبين الله الى وضع الملح في الخبز شهر شباط أو وضع الخبز في قليل من الملح عند تمريره حول المائدة بعد القداس وقد عرف هذا باسم الميثاق الدائم أو ميثاق الملح.[٤٢] كما كانوا يملحون الطفل يوم ولادته[٤٣] ولاتزال هذه العادة متبعة الى الوقت الحاضر في كثير من مناطق بلاد الشام والعراق.وفي العهد الجديد هناك واحد وأربعون مقطعاً يشير الى الملح ففي قصة زوجة لوط (عليه السلام) التي تحولت إلى عمود من الملح[٤٤] عندما ترددت بعصيان على المدن الملعونة في سدوم[٤٥]، وعندما دمر ابيمالك مدينة شكيم يقال إنه "نثر الملح فيها" وهي عبارة عن اكتمال الخراب وليس بالإمكان نمو أي نبات فيها.[٤٦] وقد أشار يسوع إلى أتباعه بأنهم ملح الارض، فيستخدم الملح بشكل إلزامي في طقوس القداس ويمكن ان يضاف إلى المياه حيث يكون عرفاً في طقوس الروم الكاثوليك حيث يعتقد أن منشأ المياه المقدسة كما يستخدم في الكنيسة لطرد الأرواح الخبيثة.[٤٧]

اما في الشريعة الإسلامية ففي واحد من الأحاديث المسجلة في سنن ابن ماجة من حديث أنس أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم يقال إنه قال: ان "سيد ادامكم الملح" وسيد الشيء هو الذي يعد له ويقومه ويصلحه؛[٤٨] وفي مسند البزار مرفوعاً "سيوشك أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام ولايصلح الطعام الابالملح"،[٤٩] وقد ذكر البغوي في تفسيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً "أن الله أنزل الأربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح" [٥٠] فهو يصلح الأجسام والأطعمة، حيث يروى عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قوله: "من ابتدأ أغذيته بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء" وذكر هنا السبعين دلالة على الكثير والفائدة [٥١] وقد عظمه العرب كما عظموا الماء فحلفوا به وقال أبو العباس أن العرب تعظم أمر الملح والنار والرماد.[٥٢] فالعرب قد أدركوا إن للملح فوائد كثيرة فهو عند خلطه بالذهب والفضة تزيد الذهب صفرة والفضة بياضاً ويفيد مزجه مع الليمون في تقوية اللثة وتنظيف الأسنان ويفيد أيضا في معالجة الجروح وغسل الرجلين بماء الملح يفيد في حالات التعب أو الورم أو الالتواء أو خلع العضلات وفرك فروة الرأس بالملح المذاب يحفظ الشعر وينشط نموه[٥٣] كما أن له فوائد عديدة تتمثل في سرعة إخراج الماء من اللحم ورش الملح على الجلود أول سلخها حتى يحول دون عفونتها بما بقي عليها من الشحوم وحفظ الأسماك المملحة (الفسيخ) والجبن حين يغمر بالماء والملح بحيث إن الملح الموجود فيه كاف لكي تطفوا

البيضة فوق الماء، يعمل على المحافظة عليه لفترات طويلة وقد تم الاستفادة من هذه الخواص التي يتمتع بها الملح من قبل العديد من الشركات الغذائية الى الوقت الحاضر.أثر الملح في الطقوس والمعتقدات الشعبية العربية، بل الأكثر من ذلك أن إحدى الفتاوى الشرعية لأحد رجال الدين أجازت رش الملح والماء في زوايا المنازل المسكونة بالجن والشياطين حيث إنهم أي الجن والشياطين يكرهون الملح ولايستيغونه وهناك شيخ آخر يقول في فتوى له "إنه ثبت بالتجربة أن الجن يتاذون بالملح" وبشكل عام لايخلو معتقد ديني أو طقس من تقديس الملح.(٥٥)

المحور الثاني: سنتناول فيه تجارة الملح ونظام القوافل التجاري ومراحل أعداد القافلة وعلاقتها بطرق الحج فنتيجة النشاط التجاري الواسع الذي شهدته القارة الإفريقية فقد نشطت قوافل الحج التي كانت في الوقت نفسه قوافل تجارية بحتة بكل ما تعنيه هذه الكلمة حيث كان يمارس الحجيج التجارة على طول طريقهم الى الأراضي المقدسة ومنها يتم الحصول على مختلف السلع والبضائع ومن ضمنها مادة الملح. كانت حاجة سكان السودان الغربي للملح ضرورية؛ بدأ الاتصال الثقافي المباشر بين دولة كانم برنو الإسلامية وشمال إفريقية مع دخول الإسلام إلى منطقة السودان الأوسط، ويرجع تاريخ دخول الإسلام في كانم برنو إلى سنة ٤٦ هـ، وهي السنة التي وصلت فيها طلائع المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى إقليم كاوار عبرالطريق الذي يربط كانم برنو بساحل طرابلس مباشرة، وكان هذا الطريق يمثل قناة تتدفق من خلالها التأثيرات الإسلامية المبكرة إلى جنوب الصحراء وإلى مناطق أخرى في السودان الأوسط. وابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي قام حكام وأهل كانم برنو بأداء فريضة الحج، وقد أتاحت رحلة الحج فرصة فريدة لتأسيس علاقات فكرية وثقافية بين كانم برنو وبين شمال إفريقية. وكثرت وفود كانم برنو إلى مصر(٥٦) وقد أسفر هذا عن تأسيس مدرسة في فسطاط مصر، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق، لتدريس المذهب المالكي، و تعليم الطلاب الوافدين إلى مصر من كانو برنو وتدريبهم، فضلاً عن استخدامها نزلاً للوفود أو الحجيج.

أوجد نظام القوافل التجارية لغرض اقتصادي واجتماعي بحيث أتاح الفرصة للتواصل الثقافي بين دول شمال إفريقية الإسلامية ودول جنوب الصحراء .نعم لقد سهل لقوافل العلماء والكتب عبور هذاالبحر الرملي، الذي لولا هذه القوافل كان يعتبر سدًا منيعًا يعجز الفرد عن عبوره،ولكن مع القوافل أصبح جسرًا يعبر عليه التجار مع بضائعهم والعلماء والكتب والتيارات الفكرية من الشمال إلى الجنوب والعكس، وأصبحت الأسواق منبرًا من منابر الدعاة تنطلق منها أصواتهم إلى صدور الرجال، ومكانًا لبيع المخطوطات، وأصبح التاجر هو الداعية وبيده اليمني مصحفه واليسرى سلعته. ويصاحب العلماء ويسهل لهم الإقامة لوجه الله ليسهل لهم بلوغ مرامهم وهو نشر الإسلام وثقافته عن طريق التعليم والوعظ والإرشاد والفتاوى، كي يستقيم بالشريعة الإسلامية في المنطقة التي تهيمن عليها الدينات الوثنية، وليضئ لهم طريق الهدى، ونتج عن ذلك وجود الإسلام

والثقافة الإسلامية عن طريق التواصل الثقافي لا عن طريق السيف, بل تَّم سلمياً عن طريق التجار المسلمين *، ومن بلاد المغرب بصفة خاصة، الذين كانوا يتوافدون على أطراف السودان الغربي بقصد التجارة، حيث أقاموا محطاتٍ وأسواقاً يتبادلون فيها السلع مع أهل السودان.كانت القوافل من أقدم وأشهر الوسائل في نقل البضائع لمسافات طويلة، ولم يفت القائمين بهذه المهمة أن يضعوا لها قوانين خاصةبها تنظمها للاستفادة منها. أما نظامها فيتكون من الآتي:

عدد الجمال: قديصل عدد الجمال أحياناً إلى العشرين أو الثلاثين جملاً

–يقوم رجال خبراء بتهيئة القوافل وإعداد المسافرين نفسياً نسبة لقساوة الطريق وبعد المسافة. قد تصل مدة السفر في بعض الأوقات إلى ثلاثة أشهر أو أكثر، وقد تكون الرحلة مرتين في السنة أو أكثر حسب متطلبات الأسواق التي تسير وتعتمد على العرض والطلب.[٥٧]

تعتبر قافلة الربيع من أكبر القوافل التي تسير في السنة، حيث يجتمع تحت قيادتها أكبر عددمن المشاركين، لأنها تقطع أطول المسافات من الشمال إلى الجنوب والعكس.

الكشاف: يختار رئيس القافلة رجلاً من أهل الصحراء يتمتع بخبرة ومعرفة شاملة بأماكن الآبار ويكون قادرًا على معرفة الطريق وسط الرمال الكثيفة، وقد يكون هذا الرجل من جماعة الطوارق ساكني المنطقة، لهذا فإن قائد القافلة يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الكشاف لضمان وصول البضائع لأصحابها أو وكلائها، فقد كان للتجارة مندوبون ووكلاء في العواصم التجارية من كلا الطرفين، لتسهيل أمور التجارة في منطقة السودان الأوسط.[٥٨]

–توفير الماء: ومن أهمها ما قام به عبد الرحمن بن حبيب حفيد عقبة بن نافع في أواخر الحكم الأموي، وذلك بحفر عدد من الآبار لتوفير المياه ما بين الواحات الإفريقية ومدينة أوغست، الذي سهل وصول القوافل التجارية في غرب إفريقيا، وأصبحت الطرق التجارية ليست مقتصرة على السواحل فقط[٥٩]. ومن المعروف أن توفر المياه في الطرق التجارية يعد من الاسهامات التي قام بها العرب المسلمون، وكانت سبباً في انتشار الإسلام في جنوب إفريقيا الغربية، حيث يكون يكون الوصول سهلاً للتجار المسلمين إلى كل المدن والمناطق في قلب الصحراء.

وبدأت العلاقات التجارية بين التجار المسلمين في الشمال الإفريقي، وتجار السودان الأوسط منذ القرن (٣– ٥هـ/ ٩ – ١١م) وكانت الحركة التجارية في السودان تتمثل ببحيرة تشاد وبحيرة كور عبر الطريق الصحراوي المار بغزان[٦٠]، وفي هذه المرحلة ظهرت الحركة التجارية بين شمال أفريقيا والسودان الأوسط، ومن الطبيعي كان لهذه التجارة التأثيرات الدينية وبطبيعة الحال أن حرفة التجارة تكون بتماس مع المجتمع، ومن المعروف أن الاسلام والمسلمين مسالمون ومتسامحون في عملهم، لذا انعكست هذه الحالة على مجتمع السودان والفتت أنظارهم، وخصوصاً عند مشاهدتهم للتجار المسلمين ممارستهم لعباداتهم في الوضوء والصلاة الصوم الزكاة وقرأة القرآن والحج[٦١].

كانت للطرق التجارية ما بين المغرب العربي وجنوب إفريقيا أثرها الواضح على انتشار الإسلام في الجنوب الإفريقي، وفي مقدمة القبائل التي كانت تحمل البضائع التجارية قبيلة الطوارق الصنهاجية، وقبائل لمتونة التي كانت تحمل المنتوجات العربية إلى دول السودان ومنها مالي والنيجر والسنغال وغانا وغينيا وغيرها من الدول الإفريقية الأخرى[٦٢]. ومن خلال هذه القوافل حمل التجار مبادئ وقيم الإسلام الحنيف ونقلوها إلى المجتمعات الإفريقية. وظهرت تأثيرات التجار والقوافل التجارية على بلدان جنوب إفريقيا في نشر مبادئ وإرشادات الإسلام، ومنها مملكة مالي أو السودان القديم ومملكة غانا التي كان يجلس على عروشها ملوك اشتهروا قديماً، ومنهم الملك منسا موسى في سنة (٧٣١هـ / ١٣٣٠ م) الذي حج إلى بيت الله الحرام آخذاً معه خمسين ألف من الذهب يصدق بها على المحتاجين والفقراء في الأراضي المقدسة ورافقه أعداد كبيرة من العلماء والوزراء والأتباع [٦٣] ثم عاد منسا موسى من الحج، ومعه عدد من العلماء والفقهاء وذوي الحرف، وبواسطة هؤلاء شيدت المساجد والأبنية والمساكن في غانا، وبذلك أصبح للملوك الذين اعتنقوا الإسلام أثر في غرس مبادئ الإسلام في مجتمعاتهم، حيث إن للمساجد دوراً كبيراً في تعليم الناس.[٦٤]. ومن الواضح أن قوافل الحج كانت تؤدي الى قيام علاقات فكرية ودبلوماسية ليست بين الحكام في الممالك السودانية وسكانها مع أهل الحجاز فحسب وإنما مع سكان شمال إفريقيا ومصر لأن تلك الدول كانت تقع على الطريق الذي تسلكها قوافل الحجاج القادمة من السودان الأوسط فمكة[٦٥]. فكان للرحلات التجارية النشطة الأثر الواضح في اعتناق الإسلام، لكثير من دول جنوب غرب إفريقيا، والرحيل على شكل قوافل لأداء فريضة الحج إلى الأراضي المقدسة، ولقاء التجمعات البشرية من كل دول العالم الإسلامي على اختلاف لغاتهم وأجناسهم تجمعهم روح الإسلام وأخلاقه مجتمعين متحابين على كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله، ويولون وجوههم شطره في كل من أوقات عباداتهم[٦٦]، وبعد عودتهم إلى بلدانهم يكونون مملوؤن بالحماس لنشر العقيدة الإسلامية السمحة في بقاع أوطانهم، وبين أفراد مجتمعاتهم. وقد ذكر ابن خلدون عن سفر قوافل الحج التي تحمل بعض من ملوك السودان الغربي إلى بيت الله الحرام فقال (وهم جماعة من ملوكهم، وأول من حج منهم الملك برمندار)[٦٧]. الذي قام في أداء فريضة الحج في (نهاية القرن الخامس الهجري / نهاية القرن الحادي عشر للميلاد)[٦٨].

وكان الإسلام ينتشر على أيدي التجار وعن طريق الاحتكاك المباشر بين الملوك ورجال ممالكهم من الوثنيين. كما ساعد ذلك قيام دولة المرابطين في غربي الصحراء الكبرى في منتصف القرن الحادى عشر الميلادي – وهي دولة قائمة على الجهاد ونشر الإسلام[٦٩] – كانت ذا أثر مهم في انتشار الإسلام في منطقة الصحراء الكبرى الغربية، بين السودان في حوض السنغال وأعالى النيجر. وأخيراً أسلم ملوكهم والكثيرون من رعاياهم، واضطلعوا هم

أنفسهم بنشر الإسلام في أوطانهم بعد المرحلة الأولى من انتشاره في السودان الغربي. وإذا كان العالم الإسلامي أصبح يشكل وحدة عمرانية واقتصادية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين،فإن طرق المواصلات التجارية وشبكة المسالك التجارية فيه تمتد من الجنوب الغربي من بلاد السودان إلى أوروبا، ومن سواحل إفريقيا الشرقية إلى الصين وبلاد الترك،وتمتد كذلك من المغرب إلى المشرق من شواطىء المحيط الأطلسي إلى بغداد وكابول، ومنهما إلى منطقة المحيط الهندي.(٧٠)

أما عن أهم المنتجات التي تحملها القوافل التجارية الى بلاد السودان فكانت تشمل الحبوب والتمور والأقمشة والمصنوعات المعدنية والجلدية وصنوفاً من النَظم من الزجاج والأصداف والخواتم والقطران والأخشاب والعطور فهي المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية وأواني الزجاج والخزف والملح لندرته عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية(٧١)، ويعودون محملين بالذهب والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات، وكان أهل وارجلان يقودون هذه القوافل التجارية الى بلاد السودان(٧٢)، فإن هناك بضاعة لاتقل أهمية في العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان وهي الملح،فقد ارتبط بالذهب ولا يعني هذا الارتباط وجودهما في مكان واحد أو قربهما، بل هذا الارتباط راجع إلى أن الملح كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب والذين يدفعونه للحصول على الملح.إذ يجب مقايضة الملح بالذهب والذهب بالملح.فقد كان الملح بمثابة عملة "وبالملح يتصارف أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعونه". ولا غنى لأحد عنه في بلاد السودان حتى: "أن المسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً إنما يحمل قطع ملح. (٧٣) ويجلب الملح من خارج السودان بالشمال و أشهر أماكنه منجم ملح تغازى (وهي على مسيرة ٢٥ يوماً من سجماسة" (وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر فيها إنما هي رمل" فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجدمنه ألواح ضخام متراكبة. (٧٤) وقد أشار البكري إلىمعدن آخر من الملح هو معدن "تاتنتال" وهو يبعد بـ ٢٠ يوما عن سجلماسة، وذكر أن "من غرائب تلك الصحراء ملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن، ويوجد تحت قناة أودونها من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة وعليه حصن مبني من حجارة الملح وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك من ملح، ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان والعمل فيه متصل والتجار إليه سائرون وله غلة عظيمة. (٧٥)

أما المصادر المحلية للملح بالسودان فقليلة وهناك منجمان أحدهما على شاطىء المحيط في منطقة قبائل بني جدالة الصنهاجية ويسميه البكري أوليل حيث كان يحمل الملح منه الى المناطق السودانية المجاورة(٧٦)وصف الإدريسي إحداهما بقوله : "أما جزيرة أوليل فهي في

البحر على مقربةمن الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها"[٧٧].
أما المنجم الثاني المهم في الصحراء فهو الذي يقع في الطريق الصحراوي الذي يربط سجلماسة بغانة ويسميه ابن بطوطة بتغازي أما البكري فيسميه تاتنتال ومن وصفهما لهذا المنجم يبدو أنه يقع في الصحراء الغربية على بعد ٢٠ الى ٢٥ يوما من مدينة سجلماسة ويستخرج الملح منه كما تستخرج بقية المعادن حيث تحفر الأرض فيوجد منه الواح ضخمة متراكمة وتقطع هذه الألواح حيث تحملها الجمال إلى بلاد السودان أما القرية التي توجد في منجم الملح هذا فأن بيوتها ومساجدها من حجارة الملح ومسقوفة من جلود الجمال لكنها كثيرة الحركة محتشدة بالتجار القادمين اليها من الشمال لحمل الملح جنوبا الى السودان الغربي.[٧٧] وبما أن البلاد الواقعة شمال السودان كانت تتوفر على الملح الذي يحتاجه أهل السودان، وبلاد السودان تتوفر على الذهب الذي يحتاجه أهل الشمال، فقد أدى هذا إلى تقوية العلاقات التجارية بين الطرفين .

وتقترن تجارة الذهب بما يعرف بالتجارة الصامتة، فقد كتب المسعودي أن التجارة الصامتة كانت في أيامه معروفة بسجلماسة، وتحْدثُ حين يذهب التجار إلى الأهالي الذين يسكنون قرب معدن الذهب ويضعون أكواما من السلع ويضربون الطبول فيخرج الأهالي ويضعون مقابلها أكواما من الذهب ويأخذون السلع .كما كانت هناك سلع وبضائع أخرى يقبل عليها الطرفان، بالإضافة إلى الذهب والملح اللذين كانا يأتيان على رأس محور التجارة السودانية .فكانت هذه البضاعة تمر بسجلماسة،وكانت نادرة في بلاد السودان،وكانت مصدراً للربح الوافر،والحصول بالمقابل على كميات كبيرة من الذهب،وفي هذا الصدد يقول ابن حوقل:"وربما بلغ الحمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار" [٧٩]. ويبدو من نص ابن حوقل أن الملح كسلعة كانت لها أهمية في أسواق بلاد السودان،مثلها مثل الذهب والرقيق في بلاد المغرب والملح الذي كان السودان في أمس الحاجه إليه إذ لم يستطيعوا إنتاجه.منعدمة في بلاد السودان،وكان الطلب عليها كبيراً،مما جعل تجار المغرب الاسلامي يستغلون هذه المادة في استيراد الذهب والرقيق.ويذكر الإدريسي وهو من أبناء سبتة ، أن بمدينة سبتة سوقاً للمرجان وحكه وصنعه خرزاً وثقبه وتنظيمه.... وأكثر ما يحمل إلى غانه وجميع بلاد السودان لأنه في هذه البلاد يستعمل كثيراً[٨٠]. وكان التجار يستبدلون هذه السلع بغلات السودان، وهي الذهب والعاج والأبنوس إلا أن السلعة الرئيسية كانت تبر الذهب من مناجمه في نقازة في حوض نهر السنغال ويعود التجار بالتبر والرقيق،وفي هذا الموضوع ذكر الحميري عن تكرور قائلاً:"وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم"[٨١]. وقد ذكر البكري غرائب صحراء المغرب الأقصى،فأشار إلى معدن الملح الموجود بين سجلماسة وأودغست،وقال:"ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون،وله غلة عظيمة"[٨٢]. واستمرت أهمية تجارة الملح مع بلاد

السودان إلى عهد ابن بطوطة (٧٠٤. ٧٧٩هـ)حيث ذكر تغازي التي تبعد عن سجلماسة بخمسة وعشرين يوماً في اتجاه الجنوب نحو بلاد السودان،يسكنها عبيد مسوفة وهم الذين يشتغلون في مقاطع الملح بتغازي،وأضاف الرحالة المغربي قائلاً:"وقرية تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر" [٨٣].

كان لمملكة غانة دورها في تنظيم التجارة خاصة تجارة الذهب والملح وفرض الضرائب على القوافل التجارية حسب السلع،مما وفر لها مداخل ماليةمهمة، فقد ذكر البكري "أن لملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد ودينارات في إخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل "كان رخاء مملكة غانة يقوم بالدرجة الأولى على سيطرتها على تجارة الذهب والملح وأنشأت مركزاً تجارياً للمتاجرة بهما ، ولذلك عُرفت ببلاد الذهب يقول ابن حوقل :" وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المثار.... وحاجتهم إلى ملوك اودغست ماسَّةٌ من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لاقوام لهم إلا به... "فقد مارس سكان المنطقة الجنوبية من غانة الزراعة وصيد السمك واشتغل سكان الجزء الشمالي برعي الماشية والصيد كما ساهموا في تعدين الملح الحجري في الصحراء فانتشروا حتى تغازة شمالاً[٨٤]. ولم تستفد غانة وحدها من تجارة الذهب بل استفادت منه كذلك البلاد الواقعة شمالها والتي كانت تستبدل الملح بالذهب، وأخذت القبائل المقيمة في الصحراء، حظها من هذه الثروة نتيجة فرضها الإتاوات على القوافل التجارية نظير مراقبتها للطرق الصحراوية .ورثت مملكة مالي مملكة غانة في الحكم والثروة والغنى المتمثلة في التجارة السودانية خاصة الذهب والملح،وسعت إلى تنظيم التجارة والأمن بين الشمال والجنوب ومساعدة التجار وفرض الضرائب على التجارة مما جعلها تجني فوائد هامة ملأت خزائن ملوكها وجعلتهم يشتهرون خارج السودان في العالم الإسلامي وأوروبا .[٨٥] واهتمت مملكة التكرور بالتجارة المحلية حيث كانت تستورد الملح من أوليل عند مصب نهر السنغال لتوزعه على منطقة السودان الغربي.[٨٦]أشتهرت مملكة تمبكتوبالملح الجبلي الذي كان يستخرج من تعازة في الصحراء أيام حكم السنغاي في عهد أسكيا محمد. وكان لهذا الملح دوره المهم في إغناء الاقتصاد هناك وتسبب بكثير من الحروب المحلية بين حكام تمبكتو وحكام المغرب، أشهرها الحملة العسكرية التي قادها السلطان المغربي المنصور الذهبي سنة ١٥٩٠ م /٩٩٩ هجرية للاستيلاء على مناجم الملح.إستوردت تمبكتو الملح من بلاد المغرب وكانت تقايضه بالذهب مما يشير الى أن الملح وازنت أهميته الذهب والفضة. وكان هذا الملح المستورد الواحاً كبيرة استعمل بعضه في أعمال بناء المنازل والجوامع[٨٧]

الهوامش:

١. عن هذا الموضوع نحيل القارئ الى: المحمداوي،عبد الكريم خليفة حسن: الإصابة بالعين والحسد، دراسة نفسية – اجتماعية – دينية، ملتقى الزمن للثقافة والفنون، كركوك – ٢٠٠٣.
٢. السواح،فراس دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدوافع الدينية، درار علاء الدين، دمشق– ٢٠٠٢، ص ٤٧.
٣. الهاشمي،طه: تاريخ الأديان وفلسفتها، بيروت– ١٩٦٣، ص ٨–٧.
٤. www.q8boy.com
٥. هناك من يطلق على هذه المعتقدات، المعتقدات الخرافية لأنها تكون مختلفة عن المعتقدات والممارسات الدينية وهناك من استخدم كلمة شعوذة او معتقد ديني وهناك من أطلق عليها (الموروث المتخلف عن الماضي) لأنها تمثل بقايا ترسبات الماضي السحيق للإنسان عن هذا الموضوع ينظر الخوري، لطفي: في علم التراث الشعبي دار الشؤون والثقافة العامة، بغداد– ١٩٧٩، ص ٧٩ ومابعدها.
٦. كيرلا نسكي،مارك: تاريخ الملح في العالم، ترجمة احمد حسن مغربي، الكويت– ٢٠٠٥، ص ٧.
٧. المصدر نفسه، ص ١١.
٨. كيرلانسكي: المصدر السابق، ص ٣٢–٣١.
٩. كيرلانسكي: المصدر السابق، ص٧٠ ومابعدها
١٠. www.alarabalyawm.net,2111/ 2011–07–22
١١. كيرلانسكي: المصدر السابق، ص١٩٨ وما بعدها.
١٢. www.alarabalyawm.net
١٣. عن هذا الموضوع ينظر: بالمر،روبرت: تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الامين مكتبة الوفاء، الموصل– ١٩٦٤، ج٢، ص ١٧٥ ومابعدها.
١٤. جبر،يحيى عبد الرؤوف: "الملح في التراث الشعبي"،ص١
١٥. جدير بالذكر أن في قصة الخليقة البابلية وصفا مقاربا لما ورد في القرآن الكريم فيما يخص وجود نوعين من المياه عن بداية الكون المياه العذبة ممثلة بالمعبود أبسو والذي يمثل العنصر الذكري بينما كانت معبودة المياه المالحة ممثلة بالمعبودة تيامة والتي تمثل العنصر المؤنث كأساس لبدء الخليقة قال تعالى: "هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج" ولابد من الإشارة أن النبي إبراهيم عليه السلام عاش تقريبا في ذات المدة التي دونت فيها قصة الخليقة البابلية أي في حدود بداية الألف الثاني قبل الميلاد مما يرجح تأثير كتاب تلك القصة بأفكار العقائد التوحيدية التي دعا إليها النبي إبراهيم عليه السلام ينظر:سليمان، عامر: "رأي في نشأة المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين" آداب الرافدين، ع ٣٤٤، الموصل – ٢٠٠١، ص ١–١٥.
١٦. www.khayma.com/hawaj,p.1
١٧. بطرس عبدالملك، جون الكساندر طمسن؛ ابراهيم مطر: قاموس الكتاب المقدس، ط ١، دار الثقافة، القاهرة–١٩٩٥، ص ٩١٤–٩١٥.
١٨. المصدر السابق.
١٩. ليفي،مارتن: الكمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق: محمود فياض المياحي، جواد سلمان البدري، خليل كمال الدين، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد– ١٩٨٠، ص ٢٣.

٢٠. الفيروزآبادي :القاموس المحيط،باب الحاء.
٢١. ابن منظور: لسان العرب،ط٣، بيروت- ١٩٩٩ ،ج ٢، ص ٦٠٥، الفيروزآ بادي: المصدر السابق.
٢٢. سليمان بن بنين: اتفاق المعاني، تحقيق يحيى عبدالرؤوف جبر، الاردن- ١٩٨٥، ص ٢٦١، جبر: المصدر السابق، ص٢.
٢٣. الفيروزآبادي: المصدر السابق، باب الحاء.
٢٤. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة،تحقيق نخبة من العلماء، مصر ١٩٦٤,١٩٦٧ ص ٣١.
٢٥. الأزهري: مصدرسابق، ص ٣٧٣، جبر: المصدر السابق، ص٢.
٢٦. الفيروزآبادي: المصدر السابق، باب الحاء، ابن منظور: مصدر سابق، ج٢، ص ٦٠٣.
٢٧. الفيروزآبادي: المصدر السابق، باب الحاء
٢٨. عن استخدام الملح في الوصفات الطبية ينظر ليفي: المصدر السابق، ص ٣١١، عبداللطيف البدري: الطب في العراق القديم، منشورات المجمع العلمي العراق، بغداد- ٢٠٠٠.
٢٩. عن استعمالات الملح في الصناعات ينظر دانيال تي بوتس: حضارة وادي الرافدين الاسس المادية، ترجمة كاظم سعدالدين، الهئية العامة للاثار والتراث، بغداد- ٢٠٠٦، ص ١٦٧-١٦٦.
٣٠. الدليمي،محمد سليمان جعفر:الأوزان في العراق القديم في ضوء الكتابات السماوية وغير منشورة، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب-٢٠٠١، ص .
٣١. finkelstein, J. J., "the Laws of Urnammu", Journal of Cunciform studies, vol. 23, 3-4, pp. 69.
٣٢. رشيد،فوزي: القوانين في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- ١٩٨٨، ص ٢٣٢.
٣٣. ليفي: المصدر السابق، ص ٢٣٢.
٣٤. هـ. و. ف. ساكز: البابليون، ترجمة سعيد الغانمي، مراجعة عامر سليمان، دار الكتاب الجديد، طرابلس- ٢٠٠٩، ص ٢٤٣- ٢٤٤.
٣٥. وجدير بالذكر أن الدولة في عصر سلالة اور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ق.م)كانت تقوم بتوزيع أكياس من الجلود الى البدو الآموريين لغرض جمع الملح فيها وهذا الأمر مهم ومماثل لما قام به العثمانيون عندما استخدوا هذا القبائل البدوية في ثماني ممالح بالعراق لجمع الملح سنويا لنظام الاحتكار الحكومي ينظر: بوتس: المصدرالسابق، ص ١٦٦.
٣٦. ليفي : المصدر السابق، ص٢٣١.
٣٧. أشار هيردوتس الى طرق ثلاثة للتخطيط للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر أ. ج. ايفانز، ترجمة أمين سلامة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهر- بدون، ص ٨٩؛ خفاجة،محمد صقر، بدوي،احمد: هيرودوت يتحدث عن مصر (ترجمة) القاهرة- ١٩٦٦، ص ١٠٥ ومابعدها.
٣٨. حسن،سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة الكوثر، القاهرة-١٩٥٥، ج٢، ص ٣٨٠؛ الن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم، الهئية المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ١٩٧٧، ص ٩٥ ومابعدها.
٣٩.الأحمد،.سامي سعيد: "هيرودتس وكتاباته" المؤرخ العربي، بغداد-١٩٧٩، م٨، ع٣، ص ١٠-٩. باقر،طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد- ١٩٥٦، ج٢، ص ٢٥٤، كيرلانسكي: المصدر السابق، ص ٤٣-٤٢.

٤٠.ياقوت الحموي:معجم البلدان ،ج٢،ص١٢-٣.

٤١، ينظر: سركيس، إحسان: الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، ط١، دار الطليعة، بيروت-١٩٨٨، ص٤٨٧ كيرلانسكي: المصدر السابق، ص ٤٥.

٤٢.ينظر سفر العدد ١٨:١٩، الخروج الثاني ٥: ١٣، لاوين ١٣:٢؛ بطرس عبد الملك: المصدر السابق، ص٩١٥.

٤٣.ينظر سفر الخروج الأول ١٤:١٦ وللمزيد من التفاصيل عن المناسبات والطقوس والأعياد عند اليهود ينظر غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، ط١، عمان – ١٩٩٤.

٤٤.جدير بالذكر أن هناك تمثيلاً لأمرأة غير سمينة على بعد ٢٠ كم من تقاطع لبزارا- ماعيين وغور حديثة يقال إنه يعود الى زوجة لوط (عليه السلام) ينظر www.alarabalyawm.net

٤٥.تكوين: ١٩:٢٦، بطرس عبد الملك: المصدر السابق، ص ٣١٥.

٤٦.قضاة: ٩:٤٥ ص ٣١٥؛ بطرس عبدالملك: المصدر السابق، ص٩١٥.

47.B. J., Mason., "the role of sea-salt particles condensation nuclei over the remote oceansasdoud" the quarterly journal of the royal metorological society, 127, (575), 2006, p. 2023-2032.

٤٨.ابن ماجة:سنن ابن ماجة ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،

٤٩.مسند البزار:مختصر زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ،تحقيق:صبري بن عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية،الرياض-بدون تاريخ،م٢/ص١٣٤٥

٥٠.البغوي:معالم التنزيل،تحقيق محمد عبد الله النمر؛عثمان جمعة؛سليم مسلم الحرش،دار طيبة ،ط٤،الرياض-١٩٩٧،م٣،ص٤٤٣

٥١. الباشا،حسن وآخرون: المعتقدات الشعبية، نشر دار الجليل، ص ٣٦١، جبر: المصدر السابق، ص٢.

52.www.khogma.com/hawaj,p.3

٥٣.كيرلانسكي: المصدر السابق، ص١٤٦ ومابعدها.

54.www.alarabalyawm.net. /12/11/2011

٥٥.جبر: المصدر السابق، ص٤.

٥٦.وعلى صعيد العلاقات الاقتصادية كانت مصر تمثل المنفذ البري الوحيد لبضائع الرستميين إلى المشرق كما ذكرنا، حيث كانت قوافل التجار والحجاج والعلماء تخترقها إلى الشرق وبالعكس، وهو الطريق الذي ينتهي بالإسكندرية ويتصل بالطريق الممتد إلى المغرب الأقصى بعد مروره بمراكز التجارة المهمة مثل برقة، ثم إلى أفريقية (تونس) ومنها إلى الأندلس بعد عبور المضيق في طريقهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، بصورة خاصة.ينظرإلى: Maurice Lombard:L'Islamdanssa premieregrandeur8-11siecle,paris,1971,p155ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩م، ص١٥٤-١٥٥؛حياوي ،فراس سليم ؛حميد، محمد عبيس:" الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية(١٦٠- ٢٩٦هـ/ ٧٧٦ – ٩٠٨م)"مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل ،العدد العاشر،٢٠١٣،ص١٨٠.

٥٧.ابن بطوطة : شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة التجارية (مصر، ١٩٦٤)، ١ ،ص٦٩١.

٥٨.ينظر ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص٦٧٥؛الشيخلي:المرجع السابق،ص٦٥.

٥٩.برزت الحاجة الى الماء كعنصر أساسي وهذا ما دفع الأدريسي لتبيان مقدار المسافات بين أماكن تزويد الماء "يتزود بالماء فيها من يومين الى أربعة الى خمسة وستة أيام وهو ماينطبق على المنطقة المحصورة بين سلجماسة وتكرور "وهذه الحاجة الضرورية دفعت التجار الى البحث عن مصادر المياه وحفر الآبار ينظر :مزاحم علاوي الشاهري:"حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط"،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد١٥،الجزائر-٢٠١١،ص١٢٦.

٦٠.الشيخلي، صباح إبراهيم، تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا، مطبعة التعليم العالي (بغداد، ١٩٨٩) ،ص ٧١؛جدير بالذكر أن إنتشار الأسلام قد سلك عدة مسالك ١-طريق شمال إفريقيا ٢-طريق بمحاذاة المحيط٣-طريق القوافل القديم ٤-طريق نيلي٥-طريق بحري من جنوب الجزيرة الى سواحل شرق إفريقيا ٦-طريق بحري من ملايو والهند الى جنوب إفريقيا ٧-طريق صحراوي مارا بالواحات حتى أواسط إفريقيا وللاستزادة عن هذا الموضوع نحيل القارىء الى الغنيمي،عبد الفتاح مقلد :حركة المد الإسلامي في غربي إفريقيا ،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة-١٩٨٥'ص١١-٣١.

٦١.فالحاج بعد عودته من بيت الله الحرام يكون متحمساً لنشر الإسلام ويوقف على ذلك كل جهوده متنقلاً من مكان الى آخر يعيش على صدقات المؤمنين الذين يبدون مختلف ألوان العون والمحبة والتآخي أمام الوثنين.ينظرمحمد عبد الله النقيرة:انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له ،دار المريخ ،الرياض -بدون تأريخ،ص١٤٦.

62.زينب: نجيب، الموسوعة العامة لتأريخ المغرب والأندلس، سعادة المستشار واحد بن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم (بيروت، ١٩٩٥) : ٦٥ ؛ قاسم، جمال زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية (القاهرة، ١٩٧٥) : ١٥٦.

٦٣.المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، الذهب المسيوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، نشره جمال الدين الشياك (مصر، ١٩٥٩): ١١٢؛ الشيخلي، تاريخ الإسلام في إفريقيا، ص٩٢؛زينب، الموسوعة العامة لتأريخ : ١٦٩. فقد جعل حج (أسيكا محمد) سياحة استطلاعية الغرض منها: اكتساب خبرات بالاطلاع على أحوال ممالك الشرق وطرُق تسييرها، وضمان الأمور المعنوية من وراء الحج في أعيُن شعبه، والحق أنه "ليس بغريب على الرجل أن يستهدي بتعاليم الإسلام في نظم حكمه، فقد كان مسلمًا مخلصًا، وتقيًّا ورعًا، وأمعن في إحاطة نفسه ببطانة من العلماء، يأكلون ويَشربون معه، ويستشيرهم في كل الأمور عن رأي القرآن والسنة حتى أصبحت هذه السياسة الإسلامية سياسة مُقررة لخلفائه"؛وصلت إلى درجة التشكيك في الهدف الحقيقي من أداء الناس لفروض دينهم كالحج؛ إذ جعل الهدف الحقيقي لحج الملك (أسكيا محمد) سياسيًّا يتمثل في الحصول على لقب (خليفة على السودان) من الخليفة العباسي، فكأن الحج لا يكون خالصًا لله إلا إذا كان من شخص عادي مغمور، أو كأنه لما ينزل قوله -تعالى-: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا

وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج: ٢٦ – ٢٨]،انظر بحثه: المغرب في خدمة التقارب الإفريقي العربي (ص: ١٠٦) العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، تونس، عام 1985 م.هارون المهدي ميغا:التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا تحت مطارق الباحثينwww.alukah.net

٦٤.الفيتوري: عطية مخزوم، دراسات في تأريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قازيونس (بنغازي، ١٩٩٨): ص٩٥.؛

٦٥. حسن، إبراهيم : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة، ١٩٦٣) : ٧٣ص. توماس، ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة إبراهيم حسن، (مصر، ١٩٥٧) : ٣١٩.

*كانت التجارة واحدة من وسائل انتشار الإسلام فضلاً عن دور الطرق الصوفية؛المشايخ؛المعلمون والدعاة المحليون؛المسلمون من ذوي الأصول الآسيوية ؛مراكز الإشعاع الديني؛الزعامات الدينية والجهاد الإسلامي عن هذا الموضوع ينظر :مجاهد،حورية:"تأريخ إنتشار الأسلام في إفريقيا –الأبعاد والوسائل"،مجلة قراءات إفريقية،القاهرة–العدد٦,٢٠١٠،ص٢١–٢٥.

٦٦. حسن:المرجع السابق،ص ٧٣؛ قداح، نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في أفريقيا الغربية، (دمشق، ١٩٦٥) : ١٠٣ ؛ حرير، إدريس صالح، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرسمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، مركز الدراسات الليبية، السنة الخامسة (يناير، ١٩٨٣) : ٧٧.

٦٧. ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، أحياء التراث العربي (بيروت، بلا) ٥: ٤٣٣؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١)، صبح الاعشا في صناعة الانشا، مطبعة كوستا توماس (القاهرة، بلا) : ١٩٣.

٦٨. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى (بغداد، ١٩٦٦) ؛ دندش، دور المرابطين في انتشار الإسلام في غرب أفريقيا : ١٥٠. عدنان محمود عبد الغني الشاوي :"حرية الاسلام بجنوب افريقيا":كلية التربية الأساسية جامعة بابل ،العدد١٣،بابل – ٢٠١٣،ص١٧٣–١٧٥.

٦٩.المرابطون:جماعة من البربرالمسلمين بقيادة عبد الله بن يس اتخذوا لأنفسهم مكاناً في جزيرة بنهرالسنغال أطلقوا عليها الرباط معتزلين الناس وكرسوا وقتهم للعبادة والتعاليم الدينية وازداد عددهم حتى نشروا الإسلام بتوجيه من عبد الله في غرب إفريقيا واستمروا في دورهم الجهادي بعد وفاته ؛عن دور المرابطين في نشرالإسلام ينظر :دندش، عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، نقل وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، دار العرب الإسلامي، كلية الآداب، (الرباط، ١٩٨٨) : ١٤٧؛ جوزيف ،جوان :الأسلام في ممالك وأمبراطوريات إفريقيا السوداء ،دار الكتاب المصري ،القاهرة–١٩٨٤.

٧٠.الحبيب الجنحاني:المغرب الإسلامي_الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين(٣و٤هـ_٩_١٠م)_الدارالتونسية للنشر_الشركة الوطنية للنشر والتوزيع_الجزائر_١٩٧٨_ص١٨.

٧١.يباع الحمل بعشرة مثاقيل الى ثمانية، ويباع بمدينة مالي بثلاثين مثقالاً الى عشرين، وربما انتهى إلى أربعين، ينظر: ابن بطوطة، شمس الدين بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٩٦٤م، ص٦٧٤.

٧٢.الباروني، سليمان بن عبد الله النفوسي، الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية، تونس، د.ت، ج٢، ص١٨٥.

٧٣.ابن بطوطة، ص192 -192.

٧٤.نفس المصدر، ص191 .

٧٥نفس المصدر، ص .171 .

٧٦.نفس المصدر،ص١٧١.

٧٧.عميرة،محمد:"معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط"،مجلة الأتحاد العام للآثاريين،العرب،العدد٩- القاهرة،ص١٢٣.

٧٨.البكري:ص١٧١؛أبن بطوطة:الرحلة ج٢،ص٧٧٣

٧٩.ينظر إلى الروض المعطار . بيروت . ١٩٧٥ . ص١٣٤.

٨٠.الإدريسى، أبو عبد الله محمد (الشريف) "وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية" ، قطعة مستخرجة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق. الجزائر ١٩٦٥م ص ١٠٨.

٨١.. ينظر إلى المسالك والممالك . الجزائر.١٨٥٧ . ص١٧١

٨٢.ينظر إلى المسالك والممالك ،ص١٧١

٨٣.ينظرإلى:الرحلة . طبعة بيروت .١٩٦٤. ص٦٧٤.

84. صورةالأرض،ص٦١.

٨٥.الشيخلي:المرجع السابق،ص٨٥.

٨٦.عميرة:المرجع السابق،ص١٢٦.

٨٧.الشيخلي:المرجع السابق'ص١٠٢-١٠٣.